

اَلْمُخْتَصَرُ اَلْمُفِيدُ فِي تَرجَمَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ الْأَعْلَامِ

يزن الغانم


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد:

نحمد الله عز وجل أن جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم ورثة للأنبياء، يعلمون الناس الإسلام والهدى، ويدافعون عن شريعة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويصبرون على الأذى.

فنذكر هنا جملة مختصرة من سير الأئمة الأربعة، فهم القدوات الكرام الذين كان لهم الأثر الكبير على الأمة الإسلامية في زمانهم وبعد زمانهم. وقد ذكرت مصدر المعلومات في آخر الكتاب وليس في أثنائه ليخف أخذه.

والله أسأل أن ينفع بها ويتقبلها.



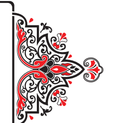
فضل العلماء الصالحين المصلحين وحاجة الناس إليهم

الناس في حاجة إلى العلماء الصالحين أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، فمن يعلم الناس الخير، ودين الله تبارك وتعالى؟ ومن يدافع عن الشريعة إلا العلماء؟

وفي فضلهم قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة ١١]، يرفعهم الله في الدنيا والآخرة بحسب ما عندهم من العلم والإيمان.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العِلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العِلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ**» رواه أبو داود.

وقد روي في الأثر: «**فَقِيهٌ واحِدٌ أَشَدُّ على الشيطانِ من أَلْفِ عَابِدٍ**»؛ لأن العابد نفعه على نفسه، وأما الفقيه العالم نفعه لنفسه ولغيره، وهو أيضًا يتعبد الله بعلم وبصيرة خلافًا لكثير من العباد ممن يتعبد على جهل وعن غير بصيرة.



صفات العلماء الصالحين المصلحين



١. خشية الله في السر والعلن؛ لأنه كلما كانت المعرفة لله أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر ٢٨].

٢. العمل بالعلم، وعدم مخالفة العلم، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[البقرة ٤٤].

٣. اليقين بالله تعالى ودينه والتصديق التام لله ورسوله ﷺ، فلا تفتنهم الشبهات، فعندهم من العلم واليقين ما يدفعون به الشبهات، وعندهم من الإيمان ما يدفعون به الشهوات والفتن.

٤. الصبر على الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

٥. الدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودليل اليقين والصبر والدعوة، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة ٢٤].



واجب الناس تجاه العلماء

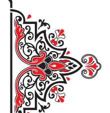


١. حبهم واحترامهم وتقديرهم، قال النبي ﷺ: «**ليس منَّا مَنْ لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحمْ صغيرَنا ويَعْرِفْ لعالِمِنا حقَّهُ**» صحيح الجامع.

٢. لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بغير ذلك من السوء فهو على غير السبيل، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ قالَ: مَن عادَى لي وَلِيًّا فقَدْ آذَنْتُهُ بالحَرْبِ**» رواه البخاري.

٣. الرجوع إليهم في المسائل الشرعية والنوازل، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل ٤٣]. والآية عامة في كل مسألة من مسائل الدين، فإذا لم يكن عند الإنسان علم بها فعليه أن يسأل من يعلمها من العلماء الراسخين في العلم.

٤. ليسوا بمعصومين من الخطأ، فلا نتعصب لأحد منهم، فكل يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا النبي ﷺ.



الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، يقال: إنه من أبناء الفرس.

مولده ونشأته:

ولد سنة ٨٠ للهجرة، في مدينة الكوفة بالعراق، وذلك في حياة صغيري السن من الصحابة ﷺ، ورأى الصحابي أنس بن مالك ﷺ.

ويعتبر أبو حنيفة من التابعين لأنه لقي بعض الصحابة ﷺ، وقد نشأ في أسرة صالحة، في الكوفة التي ينتشر فيها الكثير من العلماء، وكان أبو حنيفة يبيع الخز وهو نوع من القماش.

طلبه العلم:

اتجه أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى دراسة الفقه، وشيوخه كثيرون، وكان من شيوخه حماد بن أبي سليمان، الذي لازمه ثماني عشرة سنة، وقد تجاوز أبو حنيفة أقرانه وأمثاله في الفهم والحفظ والأدب، ولما مات حماد رحمه الله تعالى خلفه أبو حنيفة في حلقته، في تعليم العلم ومدارسته.

مكانته العلمية:

يُعرف أبو حنيفة رحمه الله تعالى عند الأمة الإسلامية بالإمام، وفقيه العراق، وعالم الأمة، وأول الأئمة الأربعة الأعلام، ومؤسس المذهب الحنفي في الفقه.

آثاره العلمية:

لأبي حنيفة رحمه الله تعالى من الآثار العلمية الكبيرة على الأمة الإسلامية أجمع، وله من التلاميذ الكثيرون الذين حملوا عنه العلم ونشروه بين الناس، أشهرهم: محمد بن الحسن الشيباني، وأبو يوسف القاضي، وزفر بن الهذيل، وغيرهم.

وقد انتشر المذهب الحنفي في أكثر البقاع الإسلامية، فهو أكثر المذاهب الفقهية انتشارًا بين الناس، ومن كتبه كتاب الفقه الأكبر.

ثناء العلماء عليه:

- قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: كان أبو حنيفة رجلًا فقيهًا معروفًا بالفقه مشهورًا بالورع، واسع المال، معروفًا بالإفضال على من يطيف به، صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل ، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في حلال أو حرام، فكان يحسن أن يدل على الحق، هاربًا من مال السلطان.
- قال الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: أفقه الناس أبو حنيفة، وقال: لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان لكنت كسائر الناس، وقال: كان أبو حنيفة آية.
- وعن الشافعي قال: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم، رأيت رجلًا لو كلَّمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته.
- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه.
- قال الإمام أحمد بن حنبل عنه: هو من العلم والورع والزهد وإيثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحد، ولقد ضُرب بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر فلم يفعل.

- قال الإمام ابن عيينة رحمه الله تعالى: ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة.
- قال الخريبي رحمه الله تعالى: ما يقع في أبي حنيفة إلا جاهل أو حاسد.
- قال الإمام سعيد بن أبي عروبة رحمه الله تعالى: كان أبو حنيفة عالم العراق.
- قال العلامة ابن العماد رحمه الله تعالى: وكان من أذكياء بني آدم؛ جمع الفقه والعبادة، والورع والسخاء. وكان لا يقبل جوائز الدولة، بل ينفق ويؤثر من كسبه.
- قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى: الإمام أبو حنيفة فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام، وأحد أركان العلماء، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبوعة، وهو أقدمهم وفاة.

۞ مواقف من حياته:

- **اتباع أبي حنيفة للكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة ﵃:**

قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: «آخذ بكتاب الله فما لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فما لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه»، وقال: «إذا صح الحديث؛ فهو مذهبي»، وقال: «إذا قلتُ قولًا يخالف كتاب الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولي».

- **عبادة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى:**

كان يحيي الليل صلاة، وتضرعًا، ودعاء، وروي أنه قرأ القرآن كله في ركعة واحدة، وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعين ألف مرة، وكان أبو حنيفة يسمى الوتد، لكثرة صلاته، ويصلي بالليل ويقرأ القرآن كل ليلة ويبكي حتى يرحمه جيرانه، وقام ليلة

يردد قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[القمر ٤٦]، ويبكي ويتضرع إلى الفجر، وإذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها، وكان طويل الصمت كثير العقل، ووقته في العبادة أو التعليم أو الفتيا.

قال زفر بن الهذيل: جالست أبا حنيفة أكثر من عشرين سنة، فلم أر أحدًا أنصح وأشفق للناس منه، وأنه كان يبذل نفسه لله تعالى، أما عامة النهار فإنه كان مشغولًا بالمسائل، وحلّها، وتعليمها، وما يعرض عليه من النوازل وجوابها، فإذا قام من المجلس عاد مريضًا، أو شيع جنازة، أو واسى فقيرًا، أو وصل رحمًا، أو سعى في حاجة، فإذا كان الليل خلا للتلاوة والعبادة والصلاة، فكان هذا سبيله حتى توفي رحمه الله تعالى.

- **حسن أخلاقه وهيئته:**

قال ابنه حماد: كان أبي جميلًا تعلوه سمرة، حسن الهيئة كثير التعطر، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ووصفه ابن المبارك بحسن الوجه حسن الثياب، وبالوقار والحلم، وقال: ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة.

وقال قيس ابن الربيع: كان أبو حنيفة كثير الصلة والبر لكل من لجأ إليه، كثير الإفضال على إخوانه.

وقال الحسن بن صالح: كان أبو حنيفة شديد الخوف لله.

وكان ورعًا، ومن ذلك: أن أبا حنيفة كان شريكًا لحفص بن عبد الرحمن، وكان أبو حنيفة يجهز له الأمتعة وهو يبيع، فبعث إليه بمتاع وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيبًا، فإذا بعته فبين، فباع حفص المتاع ونسي أن يبين، ولم يعلم لمن باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله.

- **حرص أبو حنيفة رحمه الله تعالى على من يحمل العلم من بعده ويعلمه الناس:**

ومن ذلك ما كان مع أحد تلاميذه، كان أبو يوسف مريضًا شديد المرض، فعاده أبو حنيفة مرارًا، فصار إليه آخر مرة، فرآه ثقيلًا، فاسترجع، ثم قال: لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتن علمٌ كثير، ثم رزق العافية.

- **محنته وصبره رحمه الله تعالى:**

كان أبو حنيفة يضرب من قبل السلطان، ليدخل في القضاء فأبى؛ لما يعلمه من حجم المخالفات التي سيقع فيها من أجل إرضاء السلطة الحاكمة، وقد أمر به إلى السجن فسجن، ومات في السجن.

وذُكر أبو حنيفة – عند ابن المبارك– فقال: ماذا يقال في رجل عرضت عليه الدنيا والأموال فنبذها، وضرب بالسياط فصبر عليها، ولم يدخل فيما كان غيره يستدعيه.

- **بره بوالدته:**

قال أبو حنيفة حين ضرب بالقضاء : ما أصابني في ضربي شيءٌ أشدُّ على من غم والدتي، وكان بها برًّا.

- **وفاؤه لشيخه حماد بن أبي سليمان:**

كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علمًا أو علمته علمًا.

- **حلمه وعفوه رحمه الله تعالى:**

شتمه رجل واستطال عليه، وقال له: يا كافر يا زنديق. فقال أبو حنيفة: غفر الله لك، هو يعلم مني خلاف ما تقول.

- **إنفاقه الأموال الكثيرة على طلبة العلم والصدقة:**

عن قيس بن الربيع كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة، ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة، فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين، وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يعطيهم ويقول: لا تحمدوا إلا الله فإني ما أعطيتكم من مالي شيئًا، ولكن من فضل الله علي فيكم.

وعن عبد الله الدوسي قال: كان الإمام رحمه الله تعالى يأمر حمادًا أن يشتري له كل يوم بعشرة دراهم خبزًا، ويتصدق به على جيرانه الفقراء وكلِّ من يختلف إلى الباب.

- **ذكاؤه وسرعة إجابته لبعض الزنادقة:**

ويروى أن طائفةً من الملاحدة اجتمعوا بأبي حنيفة فقالوا: ما الدلالةُ على وجودِ الصانع؟ فقال لهم: دعوني فخاطري مشغولٌ بأمر غريب، قالوا: ما هو؟ قال: بلغني أن في دجلةَ سفينةً عظيمةً مملوءة من أصناف الأمتعة العجيبة، وهي ذاهبة وراجعة من غير أحدٍ يحركها، ولا رُبَّانٍ يقوم عليها. فقالوا له: مجنونٌ أنت؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: هذا يصدقه عاقل؟ فقال لهم: فكيف صدقت عقولُكم أن هذا العالمَ؛ بما فيه من الأصناف والأنواع والحوادثِ العجيبة، وهذا الفَلَكَ الدوارَ السيَّارَ يجري وتجري هذه الحوادثُ بغير محدِث، وتتحرك هذه المتحركاتُ بغير محرِّك، فبهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

ومن ذكائه ما حكاه الحسن بن زياد قال: دفن رجل مالًا في موضع، ثم نسي في أي موضع دفنه فلم يقع عليه، فجاء إلى أبي حنيفة فشكا إليه فقال له أبو حنيفة: ما

هذا فقه فأحتال لك، ولكن اذهب فصل الليلة، ففعل الرجل، ولم يقم إلا أقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال له: قد علمت أن الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك، فهلا أتممت ليلتك شكرًا لله عز وجل.

- **شجاعته في قول الحق:**

كان له موقف شجاع بين يدي الخليفة المنصور، فأعجبت زوجة المنصور بهذا الموقف، فأرسلت إليه جارية وهدايا ثمينة، فقال لرسولها: أقرئها مني السلام، وقل لها: إنما ناضلت عن ديني، وقمت ذاك المقام لله، لم أرد بذلك تقربًا إلى أحد، ولا التمست به دنيا، ورد إليها الجارية والهدايا.

وفاته:

روي أن الخليفة المنصور سقاه السم فمات شهيدًا رحمه الله تعالى، ولما أحس بالموت سجد فخرجت نفسه وهو ساجد، مات سنة خمسين ومائة، عن سبعين سنة، دفن ببغداد وصلي عليه ست مرات؛ لكثرة الزحام رحمه الله عز وجل رحمة واسعة.

فوائد من سيرته:

١. لا ينبغي للإنسان أن يترك طلب العلم من أجل العمل، بل يجمع بينهما، فأبو حنيفة كان يبيع الخز ويتاجر ويطلب العلم، وصار من أئمة المسلمين.

٢. أبو حنيفة رحمه الله تعالى من التابعين؛ لأنه لقي بعض الصحابة ﭫ، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» رواه البخاري ومسلم.

قال الإمام النووي رحمه الله: الصَّحِيحُ أَنَّ قَرْنَهُ ﷺ: الصَّحَابَةُ، وَالثَّانِي: التَّابِعُونَ، وَالثَّالِثُ: تَابِعُوهُمْ. انتهى من شرح النووي على مسلم (١٦/٨٥).

٣. لا يعيب طالب العلم العمل والتجارة، فهذا أبو حنيفة كان يبيع الخز وهو نوع من القماش.

٤. العلم لا ينال بسهولة فهو يحتاج إلى جد واجتهاد وتعب، فهذا أبو حنيفة كان له شيوخ كثيرون ولازم شيخه حمادًا ثماني عشرة سنة.

٥. تلقي العلم عن الأشياخ هي طريقة أئمة المسلمين ومنهم أبو حنيفة رحمه الله تعالى.

٦. ينبغي لمن تعلم العلم أن يعلمه غيره، فهذا أبو حنيفة لما مات شيخه حماد خلفه في حلقته في تعليم العلم ومدارسته.

٧. مما يدل على فضل أبي حنيفة أن الله قد كتب لعلمه القبول والانتشار الكبير بين الناس.

٨. ينبغي للعالم أن يربي تلاميذ نجباء يحملون عنه العلم حتى يحفظ هذا العلم وينقل للناس، فأبو حنيفة له من التلاميذ الكثير الذين حملوا عنه العلم ونشروه بين الناس، أشهرهم محمد بن الحسن الشيباني، وأبو يوسف القاضي، وزفر بن الهذيل، وغيرهم.

٩. ثناء الأئمة الكبار من أهل الإسلام عليه - يدل على أنه لا يقع في أبي حنيفة ويطعن فيه إلا جاهل لا يعرفه حق المعرفة أو حاسد له.

١٠. اتباع الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من الصحابة هو سبيل العلماء والأئمة؛ فأبو حنيفة يأخذ بالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة، ولا يخرج عن ذلك ويقيس عليها.

١١. تعظيم السنة ورد ما سواها من الأقوال، ومن ذلك قوله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، «وإذا قلتُ قولًا يخالف كتاب الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ؛ فاتركوا قولي». وفي هذا رد على متعصبة المذاهب.

١٢. عبادة الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى تدل على أنه ينبغي للعالم وطالب العلم أن يعمل بعلمه ويكثر من العبادة.

١٣. نتعلم منه الحلم والعلم، والأمانة والكرم والصبر، والعفو وغير ذلك من أخلاقه الحسنة رحمه الله تعالى.

١٤. الزهد في الدنيا وطلب الآخرة لا يعارض أن يكون الإنسان حسن المظهر؛ فهذا أبو حنيفة كان حسن الهيئة، كثير التعطر، حسن الثياب.

١٥. نتعلم منه الأمانة وشدة ورعه في التعامل مع الناس وفي البيع والشراء، ومن هذا ما سبق ذكره مع شريكه حفص بن عبد الرحمن.

١٦. حرِص أبو حنيفة رحمه الله تعالى على من يحمل العلم من بعده ويعلمه الناس، نتعلم من هذا أنه ينبغي أن يسعى كل واحد منا أن يكون له أثر طيب يستمر بعد موته.

١٧. نتعلم منه الصبر على الأذى في سبيل الله والخوف من الله تعالى، فقد تحمل الضرب والسجن، ومات في السجن، كل ذلك في أنه لا يقدم طاعة أحد على طاعة الله تعالى ومرضاته.

١٨. نتعلم منه الوفاء، وكيف أنه لا يصلي صلاة إلا دعا لشيخه حماد.

١٩. نتعلم منه الشجاعة في قول الحق، والإخلاص لله تعالى.

٢٠. نتعلم منه بر الوالدين، وكيف أنه كان يتألم ليس من ضربه، وإنما يتألم بتألم والدته عليه!.

٢١. نتعلم من الجود والكرم، والصدقة وبذل المال في سبيل الله تعالى، وكيف أنه كان ينفق الأموال الكثيرة على الطلبة والأشياخ المحدثين.

٢٢. نتعلم منه الزهد في الدنيا والثبات؛ فقد عرضت عليه الدنيا والأموال فنبذها.




الإمام مالك رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، المدني.

مولده ونشأته:

ولد في المدينة المنورة سنة ٩٣ للهجرة، ونشأ الإمام مالك في بيت اشتغل بعلم الأثر ، وفي بيئة سخرت جُلَّ وقتها للحديث والأثر، فجدُّهُ مالك بن أبي عامر من كبار التابعين، وأبو جده أبو عامر صحابي جليل.

ترعرع في المدينة، في صونٍ ورفاهيةٍ وتجمُّلٍ، وطلبٍ للعلم، وكان همُّهُ طلب العلم ورواية الحديث.

طلبه العلم:

أكرم الله الإمام مالك بأبوين فاضلين، كانا السبب في تعليمه منذ صغره، فهذه أمه الصالحة العاقلة، كانت تأخذه وتطيِّبه وتلبسه لباس العلماء وترسله ليتعلم، وكانت تقول له اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه.

شيوخه أكثر من تسعمائة شيخ، منهم: نافع مولى ابن عمر، وربيعة بن عبد الرحمن، ومحمد بن شهاب الزهري، تأهل مالك للفتيا وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة.

مكانته العلمية:

هو الإمام الفقيه المحدث، إمام دار الهجرة (المدينة المنورة)، وعالم المدينة أحد الفقهاء الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المتبعة (المذهب المالكي)، وهو من سادة أتباع التابعين.

آثاره العلمية:

للإمام مالك من الآثار العلمية الكبيرة على الأمة الإسلامية أجمع، وله الكثير من التلاميذ، منهم ابن القاسم وأشهب، ويحي بن يحي الليثي، وعبد الرحمن بن مهدي.

وله كتاب الموطأ في الحديث، وهو صاحب المذهب الذي يتشرف المغاربة اليوم بالانتساب إليه والتمذهب به.

ثناء العلماء عليه:

- قال الإمام أبو حنيفة عن مالك: «والله ما رأيتُ أسرع منه بجواب صادقٍ وزُهْدٍ تامٍّ».
- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به يدك»، وقال: «إذا جاء الخبر، فمالك النجم»، وقال: «إذا ذكر العلماء فمالك النجم»، ولم يبلغ أحد في العلم مبلغ مالك؛ لحفظه وإتقانه وصيانته، «ومن أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك». وقال: «مالك بن أنس معلمي»، وفي رواية: «أستاذي»، «وما أحد أمن عليَّ من مالك»، «وعنه أخذنا العلم»، «وإنما أنا غلام من غلمان مالك»، وقال: «جعلت مالكًا حجة فيما بيني وبين الله».

- قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: مالك سيد من سادات أهل العلم، وهو إمام في الحديث والفقه، ومَن مثلُ مالك متبع لآثار مَنْ مضى؟ مع عقل وأدب.
- قال ابن مهدي رحمه الله تعالى: مالك أفقه من الحكم وحماد، ما رأيت أحدًا أعقل من مالك بن أنس.
- قال الإمام البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر.
- قال: سفيان بن عينية: ما نحن عند مالك، إنما كنا نتبع آثار مالك، وقال: مالك سيد المسلمين.
- وذكره الإمام الأوزاعي فقيل له: كيف رأيت مالكًا؟ قال: رأيت رجلًا عالمِا.
- قال الإمام ابن المبارك: لو قيل لي اختر للأمة إمامًا اخترت لها مالكًا.
- وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذا رحمه الله تعالى.

مواقف من حياته:

- **تعظيم مالك لحديث النبي ﷺ وسنته:**

قال أبو مصعب: كان مالك لا يحدث إلا وهو على طهارة، إجلالًا للحديث، وقال الإمام مالك: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ.

وعن معن بن عيسى قال: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يجلس للحديث اغتسل وتبخر وتطيب، فإذا رفع أحد صوته في مجلسه زجره، قال: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾[الحجرات: ٢]، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله ﷺ فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه.

- **فقه الإمام مالك وحسن جوابه:**

ذكر الحافظ ابن عبد البر في التمهيد: أن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الانفراد والعمل، فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح لي فيه، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر.

- **حسن مظهر الإمام مالك:**

قال قتيبة: كنا إذا دخلنا على مالك، خرج إلينا مزينًا مكحلًا، مطيبًا، قد لبس من أحسن ثيابه، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة.

وقال عيسى بن عمر: ما رأيت أشد بياضًا من ثوب مالك.

- **الإمام مالك يقول لا أدري لا أعلم:**

سئل الإمام مالك عن ثمان وأربعين مسألة، فأجاب في اثنتين وثلاثين منها بـ: لا أدري.

وقال: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه قول (لا أدري) حتى يكون ذلك أصلًا يفزعون إليه.

وقال ابن وهب وهو من أصحابه: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك: لا أدري فعلت.

- **محنة الإمام مالك وصبره على قول الحق:**

ضرب الإمام مالك بالسياط وانخلعت يده من كتفه لأنه أفتى بمسألة خلاف ما يريده السلطان في المدينة، واعتذر إليه الخليفة العباسي المنصور مما صنع به والي المدينة، وعفا الإمام مالك عن والي المدينة.

رحم الله الإمام مالكًا كظم غيظه، وأظهر صبره، وبذل عفوه.

- **تضحية الإمام مالك من أجل طلب العلم:**

قال ابن قاسم: أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته، فباع خشبه ثم مال ت عليه الدنيا بعد.

- **إنكاره للبدع والمحدثات في الدين:**

ذكر الشاطبي في كتابه الاعتصام عن ابن الماجشون قال: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾[المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا.

وفاته:

لما احتضر تشهد وقال: أشهد أن لا إله إلا الله. وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١٧٩ للهجرة، وله خمس وثمانون سنة، ودفن بالبقيع رحمه الله تعالى.

فوائد من سيرته:

١. نتعلم منه أهمية طلب العلم في الصغر، ودور الوالدين في ذلك.

٢. لا بد للمتعلم من شيوخ يتعلم منهم الأدب والعلم كما كان من الإمام مالك، وكما هي سنة العلماء.

٣. فضل العلم على متعلمه ومعلمه، فما زال الإمام مالك حيًّا بعلمه بين الناس، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**إِذَا مَاتَ الإنْسَانُ انقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**» رواه مسلم.

٤. إجماع الأمة الإسلامية في الثناء على الإمام مالك رحمه الله تعالى.

٥. نتعلم منه تعظيم رسول الله ﷺ وتعظيم حديثه وسنته.

٦. نتعلم من فقه الإمام مالك أن الناس أنواع، وأن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرجل فتح له في الصلاة، ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الجهاد، وهكذا، وكلهم على خير وبر.

٧. لبس الثياب الحسنة واستخدام الطيب، لا يعارض العلم والزهد في الدنيا.

٨. ينبغي للإنسان أن يقول: لا أعلم لا أدري، ولا يتكلم بما لا يعلم، ولا يستحي من قول: لا أعلم ولا أدري، فهذا الإمام مالك مع جلالة قدره يكثر من قول: لا أدري لا أعلم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

٩. نتعلم منه الصبر على قول الحق وتحمل الأذى في سبيل ذلك، فقد ضرب الإمام مالك بالسياط وانخلعت يده من كتفه؛ لأنه أفتى بمسألة خلاف ما يريده السلطان.

١٠. نتعلم منه الجد والاجتهاد في طلب العلم والتضحية في سبيل ذلك، فقد أفضى طلب العلم بالإمام مالك إلى أن نقض سقف بيته، فباع خشبه.

١١. نتعلم منه إنكار البدع والمحدثات في الدين، فدين الله كامل ولا حاجة للبدع.

والبدعة: هي كل ما أحدثه الناس في الدين، ولم يكن على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه. لا نقبلها، ونردها.

لقول النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**كل بدعة ضلالة**». رواه أبو داود. مثالها: الزيادة في العبادة، كالزيادة على الوضوء غسلة رابعة، وكالاحتفال بالمولد النبوي، فلم يرد عن النبي ﷺ وأصحابه.





الإمام الشافعي رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

محمد بن إدريس الشافعي المكي، أبو عبد الله القرشي ، يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي.

مولده ونشأته:

ولد الإمام الشافعي رحمه الله تعالى سنة ١٥٠ للهجرة، وكانت ولادته بغزة من أرض فلسطين، ومات أبوه وهو صغير، ونشأ يتيمًا في حجر أمه، فتوجهت به إلى مكة وهو ابن عامين فنشأ بها، ثم حبب إليه الفقه فساد بعدها أهل زمانه.

طلبه العلم:

حفظ الإمام الشافعي القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان قد جزأ الليلة ثلاثة أجزاء، الثلث الأول يكتب فيه، والثاني يصلي فيه، والثالث ينام فيه، وكان سريع الحفظ وله ذاكرة قوية، فكان لا يسمع شيئًا إلا حفظه، وقد أعجب به شيخه الإمام مالك وقال له: «يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن»، وفي رواية قال له: «إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بالمعصية».

- **من شيوخه الذين تلقى عنهم العلم:**

الإمام مالك، ومحمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، ووكيع بن الجراح الكوفي وغيرهم.

مكانته العلمية:

الإمام الشافعي هو ثالث الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الشافعي في الفقه الإسلامي، ومؤسس علم أصول الفقه، وقد أكثر العلماءُ من الثناء عليه، رحمه الله تعالى.

آثاره العلمية:

الإمام الشافعي له من الآثار العلمية الكبيرة والعظيمة على الأمة الإسلامية.

فمن تلاميذه: الإمام أحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وإسماعيل بن يحيي المزني، والربيع بن سليمان وغيرهم.

ومذهبه منتشر في كثير من البلاد الإسلامية، كمصر والشام والعراق وغيرها.

ومن كتبه المهمة كتاب الرسالة وكتاب الأم.

ثناء العلماء عليه:

- قال عبد الرحمن بن مهدي: «سمعت مالكًا يقول: ما يأتيني قرشي أفهم من هذا الفتى -يعني الشافعي-».
- وقال أبو عبيد: «ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أورع من الشافعي».
- وقال الإمام أحمد: «لقد كان الفقه قفلًا ففتحه الشافعي». وكان يكثر الدعاء للشافعي، ويقول: «كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن».
- قال الحميدي شيخ البخاري: «سيد الفقهاء محمد بن إدريس الشافعي».
- وقال يونس بن عبد الأعلى: «ما رأيت أحدًا أعقل من الشافعي، لو جمعت أمة فجعلت في عقل الشافعي، لوسعهم عقله».

- وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذه الورقات رحمه الله تعالى.

مواقف من حياته:

- **احترام شيخه الإمام مالك وتوقيره:**

وروي عن الشافعي رحمه الله تعالى قوله: «كنت أقلب الورق بين يدي الإمام مالك قلبًا خفيفًا لئلا يتأثر من سماع صوت الورق». يعني بلطف وبيسر وبهدوء لئلا ينزعج شيخه.

- **اجتهاده وجده في طلب العلم:**

قال الشافعي رحمه الله تعالى: «كان منزلنا في شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم يلوح، فأكتب فيه الحديث، أو المسألة، وكانت لنا جرة قديمة، فإذا امتلأ العظم طرحته بالجرة».

- **إخلاصه لله تعالى:**

ومن ذلك قوله: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولا ينسب إلي شيء منه أبدًا، فأؤجر عليه ولا يحمدوني.

- **تقبله الاختلاف في الرأي المعتبر بين العلماء:**

وقال يونس الصدفي يمتدح الإمام الشافعي: «ما رأيت أعقل من الشافعي! ناظرته يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة».

- **تعظيمه للكتاب والسنة:**

قال الإمام الشافعي: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وقال رحمه الله: «إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط»، وقال: «إذا وجدتم سنة، فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلى قول أحد».

وعن البويطي رحمه الله قال: «سمعت الشَّافِعِي رحمه الله تعالى يقول: لقد ألفت هذه الكتب ولم آل فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[النساء: ٨٢]، فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة، فقد رجعت عنه».

- **الشافعي والقرآن:**

قال أبو بكر النيسابوري: «سمعت الربيع يقول: كان الشافعي يختم القرآن في كل شهر ثلاثين مرة».

- **من أقواله:**

قال الإمام الشافعي: «إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها»، وقال: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطيرُ في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسُنة»، وقال: «ليس العلم ما حفظ، إنما العلم ما نفع»، وقال: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة إلا مرة، فأدخلت يدي فتقيأتها»؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف عن العبادة، وقال: «ليس إلى السلامة من الناس سبيل فعليك بما فيه صلاحك فالزمه».

- **من شعره قوله:**

العلمُ صيدٌ والكِتَابةُ قيدُهُ.

قيِّد صيودَكَ بالحبالِ الواثِقَهْ.

فمِنْ الحَمَاقَةِ أنْ تصيدَ غزالةً.

وتفكها بينَ الخَلائقِ طَالقَهْ.

- ومن شعره:

تعَمَّدني بِنُصحِكَ في اِنفِرادي
وَجَنِّبني النَصيحَةَ في الجَماعَه
فَإِنَّ النُصحَ بَينَ الناسِ نَوعٌ
مِنَ التَوبيخِ لا أَرضى اِستِماعَه

- ومن ذلك:

إِذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَومًا فَلا تَقُل
خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ.

وفاته:

توفي الشافعي رحمه الله تعالى سنة ٢٠٤ للهجرة، ودفن بمصر، وله أربع وخمسون سنة.

فوائد من سيرته

١. دور الأم والوالدين الكبير في تنشئة الأبناء تنشئة صالحة، فقد نشأ الإمام الشافعي يتيمًا، واعتنت به أمه من صغره وصار أعجوبة زمانه.

٢. نتعلم منه الهمة العالية في طلب العلم، فقد حفظ الإمام الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو كتاب في الحديث من أصح الكتب وهو ابن عشر سنين، وصار أهلًا للإفتاء وهو ابن خمس عشرة سنة.

٣. وفي وصية شيخه الإمام مالك قوله له: "إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بالمعصية"، وفي هذا أهمية ترك المعاصي والذنوب لطالب العلم، فإنها تؤثر على طلبه وحفظه وفهمه، فلا يجتمع نور العلم مع ظلمة المعصية.

٤. ينبغي لطالب العلم أن يكون عنده شيوخ يأخذ عنهم الأدب والعلم.

٥. فضل الإمام الشافعي ومكانته العلمية الكبيرة في الأمة الإسلامية، فهو حي بعلمه بيننا وإلى اليوم رحمه الله تعالى.

٦. ينبغي لطالب العلم أن يحترم شيخه ويوقره، ويتأدب بين يديه، فهذا الإمام الشافعي كان يقلب ورق الكتاب بين يدي الإمام مالك قلبًا خفيفًا لئلا ينزعج من سماع صوتها.

٧. نتعلم منه الجد والاجتهاد والصبر في طلب العلم، وكيف أنه كان يكتب الحديث أو المسألة على العظم، وكان يضعها ويحفظها في جرة قديمة.

٨. نتعلم منه الصدق والإخلاص في طلب العلم لله تعالى، وكيف أنه قال: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم، ولا ينسب إلي شيء منه أبدًا، فأؤجر عليه ولا يحمدوني.

٩. اختلاف الرأي والاختلاف الفقهي لا يفسد الود والمحبة بين الإخوة، فقد أخذ الشافعي بيد صاحبه الذي ناظره وقال له: ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة.

١٠. نتعلم منه تعظيم سنة رسول الله ﷺ والأخذ بها وعدم مخالفتها، فقد قال: إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط.

١١. كان الإمام الشافعي يقوم الليل ويكثر من تلاوة القرآن، فهو قدوة في العلم والعمل والجد والاجتهاد.

١٢. نأخذ من قوله: «إذا كثرت الحوائج فابدأ بأهمها»، أن الإنسان إذا تزاحمت الأمور عنده يبدأ بأهمها.

١٣. نتعلم من قوله: «إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطيرُ في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسُنة»، أن الإنسان ينبغي له أن يعرض أقوال الناس وأعمالهم على الكتاب والسنة، فما وافقها قُبل وما خالفها رُد.

١٤. وفي قوله: «ليس العلم ما حفظ، إنما العلم ما نفع»، أي إن حقيقة العلم ما نفع صاحبه بالعمل به والتأثر به، وليس مجرد حفظه فقط.

١٥. الحذر من الشبع والأكل فوق الحاجة، فإن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف عن العبادة؛ ففي الحديث عن النبي ﷺ: **«ما ملأَ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطنٍ حسْبُ الآدميِّ لقيماتٌ يُقِمنَ صلبَهُ، فإن غلبتِ الآدميَّ نفسُهُ فثُلُثٌ للطَّعامِ وثلثٌ للشَّرابِ وثلثٌ للنَّفَسِ»**. رواه ابن ماجه.

١٦. ينبغي لطالب العلم أن يكتب ما يتعلمه ليراجعه، فقد شبه الإمام الشافعي العلم بالصيد والكتابة قيده، فإذا لم تقيده ذهب.

١٧. من آداب النصيحة أنك إذا أردت أن تنصح إنسان فخذه على انفراد فيما بينك وبينه.

١٨. وقوله: ليس إلى السلامة من الناس سبيل فعليك بما فيه صلاحك فالزمه، أي إن الإنسان مهما كان فإنه لا يسلم من ألسنة الناس، فعليك بما ينفعك ويرضي الله عز وجل فالزمه.

١٩. قوله:

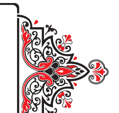
إِذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَومًا فَلا تَقُل

خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ.

وَلا تَحسَبَنَّ اللهَ يَغفَلُ ساعَةً

وَلا أَنَّ ما تُخفي عليه يَغيبُ.

ففي هذا موعظة أن الله يراك أينما كنت فلا يغفل العبد عن ذلك.





الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى

اسمه ونسبه:

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي، أبو عبد الله.

مولده ونشأته:

ولد الإمام أحمد رحمه الله بمدينة بغداد سنة ١٦٤ للهجرة، ونشأ ببغداد، مات أبوه وهو صغير فاعتنت به أمه.

طلبه العلم:

حفظ القرآن ثم أخذ في طلب حديث رسول الله ﷺ وتدوينه، وظل يطلب العلم طيلة حياته، ورحل وسافر من أجل ذلك، فقالوا له: إلى متى تطلب العلم وقد بلغت هذا المبلغ، وصرت إمام المسلمين، فأجاب بقوله: مع المحبرة إلى المقبرة.

وأخذ العلم عن شيوخ أخيار منهم: الإمام الشافعي، وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة، وسفيان بن عيينة، وعبد الرزاق بن همام، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم.

مكانته العلمية:

هو إمام أهل السنة والجماعة، المجمع على جلالته وإمامته، ورابع وخاتمة الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي.

آثاره العلمية:

له الأثر العظيم والكبير على الأمة الإسلامية، وأفضل كتبه المسند، وقد قام الإمام أحمد بجمعه طوال أيام حياته، وعدد أحاديث المسند ثلاثون ألف حديث، وقد طبع هذا المسند في خمسين مجلدة.

وأخذ عنه العلم كثير من التلاميذ، منهم: ولده صالح وولده عبد الله، وممن روى عنه: الأئمة البخاري ومسلم وأبو داود، وعلي بن المديني وأبو بكر المروذي، وغيرهم من العلماء الأعلام.

وجلس في المسجد يعلم الناس في بغداد، فاجتمع عليه الناس وازدحموا على مجلسه، وكان يجتمع في مجلسه خمسة آلاف أو يزيدون، يتعلمون منه العلم والأدب، وانتشر مذهبه في العراق والشام ونجد وإلى الآن.

ثناء العلماء عليه:

- قال الإمام الشافعي: خرجت من بغداد فما خلَّفت بها رجلًا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل.
- وقال الربيع بن سليمان: قال لنا الشافعي: أحمد إمام في ثمان خصال: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة.
- قال يحي بن معين: أَراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل، لا والله لا نقدر على أحمد، ولا على طريق أحمد.
- قال الهيثم بن جميل: وددت أنه نقص من عمري وزيد في عمر أحمد.

- قال أحمد بن سعيد الدارمي: ما رأيت أسود رأس أحفظ لحديث رسول الله ﷺ، ولا أعلم بفقه معانيه من أبي عبد الله أحمد بن حنبل.
- قال أبو عمير عيسى بن محمد الرملي: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره! وبالماضين ما كان أشبهه! وبالصالحين ما كان ألحقه! عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها.
- قال قتيبة: إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة.
- قال أبو عبيد: أحمد بن حنبل إمامنا، وقال: ما رأيت رجلًا أعلم بالسنة منه، وقال: قال أبو زرعة: ما رأت عيني مثل أحمد بن حنبل، فقيل له في العلم: فقال: في العلم والزهد، والفقه والمعرفة وكل خير، ما رأت عيناي مثله.
- قال الإمام النووي: هو الإمام البارع، المجمع على جلالته وإمامته، وورعه وزهادته، وحفظه ووفور علمه، وسيادته.
- وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحصر في هذه المختصر رحمه الله تعالى.

۞ مواقف من حياته:

- **زهده في الدنيا وورعه:**

قال أبو داود: "كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يُذكرُ فيها شيءٌ من أمر الدنيا، ما رأيتُه ذكر الدُّنيا قطُّ". وكان لا يقبل هدايا السلاطين، رغم حاجته وفقره ويصبر رحمه الله تعالى. وله كتاب الزهد من أحسن الكتب في بابه.

حمل الحسن بن عبد العزيز الجَرَوي إلى أحمد بن حنبل ثلاثة أكياس، في كل كيس ألف دينار، فقال: يا أبا عبد الله، هذه من ميراثٍ حلال، خذها فاستعن بها على عائلتك، قال: لا حاجة لي فيها، أنا في كِفاية. فردها ولم يقبل منه شيئًا.

قال إسحاق بن موسى الأنصاري: دفع المأمون إليّ مالًا، وقال: اقسمه على أصحاب الحديث، فإن فيهم الضعفاء، فما بقي منهم أحدٌ إلا أخذ، إلا أحمد بن حنبل، فإنه أبى.

وقال أبو بكر المروذي: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: ما أعدل بالفقر شيئًا، ما أعدل بالفقر شيئًا، أنا أفرح إذا لم يكن عندي شيء.

• **قصة في دعائه:**

روى ابن الجوزي عن علي بن أبي حرارة، قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يومًا: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن يدعو الله لي، فمضيت، فدققت عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقلت: رجل من أهل ذلك الجانب، سألتني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجلٍ مغضبٍ، وقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فولّيت منصرفًا، فخرجت عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلّمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم. قالت: قد تركته يدعو الله لها، قال: فجئت من فوري إلى البيت، فدققت الباب فخرجت على رجليها تمشي، حتى فتحت لي الباب، وقالت: قد وهب الله لي العافية.

- **محنة الإمام أحمد، وصبره على قول الحق وثباته:**

تعرض الإمام أحمد لمحنة قاسية من قبل السلاطين، وكان السبب في هذه المحنة بدعة القول بخلق القرآن، ضُرب فيها بالسياط ضربًا شديدًا، وسجن فيها، ليجبر على القول بخلق القرآن، فكان يرفض هذا الباطل ويقول: القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، وصبر حتى نصره الله على أهل البدع في عهد الخليفة الواثق والمتوكل.

قال علي ابن المِديني: إن الله عز وجل أعزَّ هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث؛ أَبو بكر الصدّيق يوم الرِّدة، وأَحمد بن حنبل يوم المِحنة.

عن ميمون بن الأصبغ قال: كنت ببغداد، فسمعت ضجةً فقلت: ما هذا؟ فقالوا: أحمد بن حنبل يمتحن، فدخلت فلما ضرب سوطًا قال: بسم الله، فلما ضرب الثاني، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما ضرب الثالث قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، فلما ضرب الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾[التوبة: ٥١]. فضرب تسعةً وعشرين سوطًا.

- **عنايته بنفسه:**

عن عبد الملك الميمونيّ يقول: ما أعلم أنّي رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ولا أشدّ تَعَاهُدًا لنفسه في شاربه وشَعر رأسه وشَعر بَدَنه، ولا أنقى ثوبًا وشدّة بياض من أحمد بن حنبل.

- **حفظه سنة النبي ﷺ:**

عن عبد الله بن أَحمد ابن حنبل، يقول: سمعتُ أَبا زُرْعَة يقول: كان أَحمد بن حنبَل يَحفظ أَلف أَلف حَديث، فقيل له: وما يُدريك؟ قال: ذاكرتُه فأَخذتُ عليه الأَبواب.

- **عمله بسنة النبي ﷺ:**

عن المرْوذي قال: قال لي أحمد: ما كتبتُ حديثًا عن النبي ﷺ إلا وَقد عملتُ به؛ حتى مَرَّ بي في الحديث أن النبي ﷺ احتجمَ وأعطى أبا طَيبة دينارًا؛ فأعطيتُ الحجام دينارًا حين احتجمتُ.

- **تركه فضول الكلام:**

قال أَبو داود: لقيتُ مائتين من مَشايخ العلم، فما رأَيت مثل أَحمد بن حنبل، لم يكن يخوضُ في شيءٍ مما يخوضُ فيه الناس، فإِذا ذُكِرَ العِلْمُ، تكلَّم.

- **معنى الحب في الله:**

سئل الإمام أحمد عن الحب في الله، فقال: أن لا تحبه لطمع دنيا.

- **وصية الإمام أحمد لابنه عبد الله:**

قال: يا بني، انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير.

- **الإمام أحمد يقول لا أدري:**

قال المروذي: سألت أحمد بن حنبل ما لا أحصي عن أشياء، فيقول فيها: لا أدري.

- **تواضع الإمام أحمد:**

قيل له: جزاك الله عن الإسلام خيراً، فقال: لا، بل جزى الله الإسلام عني خيراً.

ثم قال: ومن أنا ؟ وما أنا ؟!

وقال له أبو عثمان الشافعي: لا يزال الناس بخير ما منَّ الله عليهم ببقائك، وكلام من هذا النحو كثير، فقال: لا تقل هذا يا أبا عثمان؛ لا تقل هذا يا أبا عثمان، ومن أنا في الناس.

- **في ذكر بعض عبادته:**

كان يصلي كل يوم وليلة ثلاث مائة ركعة، وكان يختم القرآن كل سبعة أيام، وقال رحمه الله: ختمت القرآن في يوم، فعددت موضع الصبر، فإذا هو نيف وتسعون، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حج أبي خمس حجات، ثلاث حجج ماشيًا، واثنتين راكبًا.

وفاته:

توفي الإمام أحمد بن حنبل يوم الجمعة بمدينة بغداد ودفن بها، سنة ٢٤١ للهجرة، وله من العمر سبع وسبعون سنة، وشيع جنازته جم غفير وخلق كثير بمئات الآلاف. وعن أبي الحسن التيمي عن أبيه عن جده، أنه حضر جنازة أحمد بن حنبل، قال: فمكثت طول الأسبوع رجاء أن أصل إلى قبره فلم أصل من ازدحام الناس عليه، فلما كان بعد أسبوع وصلت إلى القبر، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

فوائد من سيرته:

١. طلب العلم لا ينتهي وإنما هو من بداية الطلب إلى الموت، كما هو حال الإمام أحمد وغيره من أئمة الإسلام.

٢. إجماع العلماء والأمة على حب الإمام أحمد بن حنبل والثناء عليه.

٣. نتعلم منه الزهد في الدنيا والورع، وكيف أنه لا يطلب حاجته إلا من الله تعالى.

٤. نتعلم منه الصبر والثبات على الحق، فكان يرفض القول بخلق القرآن ويقول: القرآن كلام الله تعالى.

٥. عنايته بنفسه رغم زهده في الدنيا. قال عبد الملك الميمونيّ: ما أعلم أنّي رأيت أحدًا أنظف ثوبًا ولا أشدّ تعَاهُدا لنفسه في شاربه وشَعر رأسه وشَعر بَدَنه، ولا أنقى ثوبًا وشدّة بياض من أحمد بن حنبل.

٦. العمل بالعلم، ومن ذلك أنه لا يكتب حديثًا إلا وعمل به.

٧. نتعلم منه ترك كثرة الكلام وفضوله. فلم يكن الإمام أحمد بن حنبل يخوضُ في شيءٍ مما يخوضُ فيه الناس، فإذا ذُكِرَ العِلْمُ، تكلَّم.

٨. مفهوم الحب في الله عند الإمام أحمد بن حنبل، أن لا تحب لطمع في دنيا، بل من أجل الله وطاعته.

٩. على الإنسان دائمًا أن يحمل في قلبه نية الخير؛ فمن وصايا أحمد بن حنبل لابنه: انو الخير، فإنك لا تزال بخير ما نويت الخير.

١٠. الحذر من التكلم من دون علم.

١١. فقد كان الإمام أحمد يكثر من قول: "لا أدري".

١٢. نتعلم منه التواضع، فكان إذا مدحه أحد قال: ومن أنا ؟ وما أنا ؟!

١٣. نتعلم منه التعبد لله تعالى، فقد كان كثير العلم كثير العبادة رحمه الله تعالى.



الخاتمة

هؤلاء هم الأئمة الأربعة الأعلام وهم سادة الأمة في العلم والفقه والقدوة في العلم والعمل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



أهم المصادر والمراجع

- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي.
- سير أعلام النبلاء: للذهبي.
- تذكرة الحفاظ: للذهبي.
- البداية والنهاية: لابن كثير.
- مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه: للذهبي.
- ترتيب المدارك : للقاضي عياض.
- مناقب الإمام الشافعي: لابن كثير.
- مناقب الإمام أحمد: ابن الجوزي.
- ذيل طبقات الحنابلة: لابن رجب الحنبلي.

تم الفراغ منه في: ٢٤ صفر ١٤٤٤ هـ.



الفهرس

- مقدمة ٣
- صفات العلماء الصالحين المصلحين ٥
- واجب الناس تجاه العلماء ٦
- الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ٧
- الإمام مالك رحمه الله تعالى ١٧
- الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ٢٤
- الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ٣٢
- الخاتمة ٤٠
- أهم المصادر والمراجع ٤١
- الفهرس ٤٣